

سؤال إبراهيم ربه أن يرده كيف يحيا الموتى

بسم

الذي هو خير المفسرين

أستاذ بقسم التفسير

إن الإنسان كلما ازداد إيمانه بالله وقوى يقينه بقدرته ازداد شوقه إلى مزيد من المعرفة وقوى تطلعه إلى آفاق عليا من العلم والإدراك لأن قوة إيمان المؤمن بالله تحببه في طلب المزيد من المعرفة به وترغبه في عميق التأمل في قدرته وبديع صنعه في خلقه وعمل قدرته الإيمان في قلب المؤمن يكون تشوقه إلى مراتب أعلى من المعرفة بالله وبمعلم تطلعه إلى درجات عالية في العلم بأسرار الله في كونه .

ولهذا نقرأ في مواجيد المتصوفة عبارات لوحلت على ظاهرها لأدى ذلك إلى الشك في إيمانهم . مع أنها في الحقيقة تعبير عن بعض خلجات الإيمان في نفوسهم . ونراهم في مخاطباتهم لله مخاطبونه بدلالة المحبين ولغة العاشقين .

لحين نقول رابعة المدونة رضى الله عنها مناجية ربها :

(اللهم ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكني عبدتك لأنك أهل لأن تحب وتعبد) .

هذا القول منها فيه تنزيه لعبادتها لله عز الطمع في الثواب أو الخوف من العقاب . فهي لا تعبد الله طمعاً في شيء ولا خوفاً من شيء وإنما تعبده لأنه أهل لأن يحب وأن يعبد .

ومثل هذه المواجيد كثيرة فيما أثر عن المتصوفة وهو يدل على أن القوم بلغوا من صفاء الروح وبقاء المرونة بسبب قوة الإيمان في قلوبهم درجة وصلوا بها إلى مرتبة من العلم بالله لا يترقى إليها إلا من سلك طريقهم وكابد مجاهداتهم .

فهم لذلك يترقون في مقاماتهم على قدر حق محبتهم لله وصدق إيمانهم به ويسألونه سبحانه وتعالى ما يسألون ويخبرهم بفضله إلى ما يسألوه .

فإذا كان هذا حال من حسنت بالله صلاتهم من غير الأبياء فكيف

يكون الحال مع الأنبياء الذين اصطفاهم الله لتدليع رسالاته إلى خاقه إذا
سأل الله واحد منهم مثل سؤال إبراهيم عليه السلام لربه أن يريه كيف
يصي الموقى . إن هذا السؤال من إبراهيم لربه ليدل على عظمة دلالة على تطامع
الإنسان إلى أن يترقى في درجات المعرفة فهو لم يسأل ليدفع عن نفسه شكا
في قدرة الله فحاشاه ذلك وإنما سأل ربه ماسأل ليلبغ بهذا السؤال درجة
أعلى من درجات المعرفة ويظهر قدرة الله سبحانه وتعالى .

ولو أن المفسرين اتفقوا على هذا الفهم لسؤال إبراهيم لربه أن يريه
كيف يحيى الموتى لأراسعوا قراء كتبهم من عناء البحث عن الرأى الصحيح
فما قالوا وسوف أبدأ الآن مستعيناً بالله فى تناول الآية الكريمة مرصداً
الرأى الذى أراه فى تفسيرها .

• قال تعالى في سورة البقرة (٢): «وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تعبد الموتى قال أومأ أن يؤمن قال بلى ولكن ليطعنن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل جرداً ثم إدعهن يأتينك سعيّاً وإلهن أن الله عزيز حكيم ...»

أقوال المفسرين في سبب - قال إبراهيم بن أبي أنس يريه كيف

بمضي الموتي :

القول الأول: وقد ذكر المفسرون أسباباً متعددة لسؤال إبراهيم
فمن الضحك وقتادة لأن سبب سؤال إبراهيم ربه أن يرى كيف يحيى
الموتى، أنه رأى دابة تدن نفسها السباع والطيور، فسأل ربه أن يرى
كيفية إحيائه إياها مع تفرق لحمها في بطون طير الهواء وسباع

٢٦٠ (١) البقرة آية ٢٦٠

الأرض ، يرى ذلك عبداً فيزداد يقيناً برؤية ذلك حيائاً إلى جانب
صلته به خيراً . إغارة الله ذلك مثلاً . بما أخبر أنه أمره به وقال
ابن زيد :

مر إبراهيم بحوت نصفه في البر ونصفه في البحر . فإكان منه في البحر
فدواب البحر فأكله . وما كان منه في البر فالسباع ودواب البر فأكله فقال
له الحبيث : يا إبراهيم متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء ؟ فقال : يارب :
أرني كيف يحيى الموتى ؟ قال أولم تؤمن . قال : بل ولكن ليغتمن قلبي .
القول الثاني : بل كان سبب مسأله ربه تلك المناظرة والحاجة التي
جرت بينه وبين نمرود في ذلك . أخرج الطبري عن ابن إسحاق قال : قال
نمرود فيما يذكره إبراهيم أرايت إلهك هذا الذي تعبد وتدعوا إلى
عبادته . وتذكر من قدرته التي تعظم بها على غيره ما هو ؟ قال نمرود :
أنا أسبي وأميت . فقال له إبراهيم : كيف يحيى وتميت ؟ ثم ذكر ما نص
الله من حاجته إليه . قال : فقال إبراهيم عند ذلك : ورب أرني كيف
يحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بل ولكن ليغتمن قلبي ... من غير شك
في الله تعالى ذكره . ولا في قدرته . ولكنه أحب أن يعلم ذلك . وتلقى إليه
قلبه فقال : ليغتمن قلبي برؤية ما تلقى إليه إذ هو عليه .

ثم تلقى الطبري على هذين القولين في سبب سؤال إبراهيم بقوله لهما
متقاربا المعنى . في أن مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيى الموتى كانت
ليرى حيائاً ما كان قد علمه قبل ذلك خيراً .

القول الثالث : وقال آخرون أن إبراهيم سأل ربه ذلك عندما أتمه
البشارة بالخلة ، فسأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ليتمكن ذلك علامة
من الله له على أنه اصطفاه خليلاً ... أخرج الطبري هذا القول عن سعيد
ابن جبير .

القول الرابع : في سبب سؤال إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيى الموتى

أنه شك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى . وقد استدل أصحاب هذا القول بما قاله ابن عباس عن هذه الآية من أنها أرجى آية في القرآن لهذه الأمة وبما روى عن عطاء بن أبي رباح وهو قوله في هذه الآية دخل قلب إبراهيم ما يدخل قلوب الناس فقال : رب أرني كيف يحيى الموتى . قال : أو لم تؤمن ؟ قال بلى ... ولكن ليظهرن قلبي . الآية ... ا. هـ (١) وقد انفرد الطبري بترجيح هذا القول في سبب سؤال إبراهيم عليه السلام .

القول الخامس : هو قول جمهور المفسرين : فقد قالوا : لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكاً في إحياء الله الموتى قط وإنما طاب المعاينة . وذلك إن النفوس مستشفرة إلى رؤية ما أخبرت به . ولهذا قال عليه السلام : ليس الخبر كالمعاينة ، رواه ابن عباس .

قال الأخفش : لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين . وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والربيع : سأله ليزداد يقيناً إلى يقينه (٢) .

القول السادس : هو أن سؤاله ذلك كان لقومه لا لنفسه قال الفخر الرازي موضحاً هذا القول : أنه عليه السلام سأل ذلك لقومه وذلك لأن أتباع الأنبياء كانوا يطالبونهم بأشياء تارة باطلة كقولهم لموسى عليه السلام : اجعل لنا لوطاً كما لهم آلهة ، وتارة حقة : فسأل إبراهيم ذلك . والمقصود أن يشاهده قومه فيزول الإنكار عن قلوبهم ... ا. هـ (٣) .

ويضعف هذا القول : لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة أن قوم إبراهيم عليه السلام طلبوا منه أن يروا بأعينهم . كيف يحيى الله الموتى حتى يكون

(١) الطبري ج ٣ ص ٤٧ إلى ص ٤٩

(٢) القرطبي — الشعب ص ١١٠٥ ، ١١٠٦

(٣) الفخر الرازي ج ٢ ص ٣٤٣

طلب التحليل هذا لأجلهم لا له ؟ وقد حكي القرآن كثيراً من مطالب الأقوام من أنبيائهم وليس هذا منها : ولو كان هذا القول صحيحاً لقال التحليل عليه السلام : أرم كيف يحيى الموتى ، ولما كان رد الله على تحليله وتعليل طلبه على هذا النحو في الآية .

القول السابع : وهو أضعف من سابقه : وهو قول من قال أن التحليل قصد بسؤاله ، أن يقدره الله على إحياء الموتى ، وإيراده السؤال بقوله : رب أرني كيف يحيى الموتى ، تأدب مع الله .

قال القاضى صياض :

قال بعضهم . قوله : رب أرني كيف يحيى الموتى ، سؤال على طريق الأدب والمراد : أقدرنى على إحياء الموتى ، وقوله ليطمئن قلبي ، من هذه الأمنية أى ليسكن من هذا التثنى . (١)

هذا وأما للقول الذى اختاره الطبرى فى سبب سؤال إبراهيم وهو أنه سأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى لشك عرض فى قلبه فردود ، لأنه يخرج التحليل عليه السلام من دائرة العصمة الواجب أن يتصف بها الأنبياء وهم العصمة عن الكفر وعن كل ما ينافى الإيمان ، وليس فى الأدلة التى ذكرها الطبرى ومن ارتأوا رأيه ما يوجب هذا الزعم الذى رصمه فقد فندها العلماء ، وأبطلوا استدلال أصحاب هذا رأى بها ، وقد ذكرت آنفاً أنهم استدلو بما روى من قول ابن عباس ما فى القرآن آية أرجو منها ، يعنى هذه الآية ، وما روى عن عطاء بن أبى رباح أنه قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس — وبما رواه أبو هريرة (٢) رضى الله عنه

(١) الشفا ج ٢ ص ٨٩ ورسالة عصمة الأنبياء والقرآن الكريم

ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

(٢) القرطبي — الشعب ص ١١٠٦ — ١ — أخرجه البخارى فى كتابه

التفسير ج ٦ ص ٢٩ الشعب .

عن رسول الله ﷺ وهو قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم : إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى . . . وقد قال القرطبي مفنداً هذا الرأي ، لا يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل هذا الشك فإنه كفر والآنبياء متفقون على الإيمان بالميت .

وقد أخبر الله تعالى إن الأنبياء والأولياء ليس للشيطان عليهم سبيل فقال : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان — وقال اللعين ، « إلا عبادك منهم المخلصين » وإذا لم يكن له عليهم سلطة فكيف يشكهم . ١ (١) .

فقال ابن عطية ويحمل قول ابن عباس عندي أنها أرجى آية لما فيها من الإدلال على الله بسؤال الإحياء في الدنيا ، أو لأن الإيمان يكنى فيه الإجمال ولا يحتاج إلى تنقيب وبحسب .

أما قول عطاء وهو أنه دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فيحمل على أن الميل إلى المشاهدة والرغبة في الإطلاع على الكيفية أمر مركز في الطباع وأما استدلالهم بما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : نحن أحق بالشك من إبراهيم .

فقد أقاض العلماء في تأويله ودحض إجماع القائلين بشك إبراهيم به قال ابن عطية وأما قول النبي ﷺ : نحن أحق بالشك من إبراهيم ، فعناء أنه لو كان شاكاً لكننا نحن أحق به ونحن لا نشك إبراهيم عليه السلام أخرى ألا يشك .

فالحديث مبني على أن الشك عن إبراهيم والذي روي فيه عن النبي ﷺ أنه قال : ذلك محض الإيمان ، إنما هو الخواطر التي لا تثبت وأما

(١) رسالة موقف القرآن من عصمة الأنبياء للدكتور شاكر محمود أحمد ص ٥٦ .

لذلك فهو توقف بين أمرين لازمة لأحدهما عن الآخر ، وذلك هو المنق
عن الخليل عليه السلام وإحياء الموتى إنما يثبت بالسمع وقد كان إبراهيم
عليه السلام أعلم به بذلك على ذلك قوله : رب الذى يحيى ويميت : فالتك
يهدى على من تثبت قدمه فى الإيمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخطوة
والإحياء معصومون عن الكبائر ومن الصفات التى فيها إجماعاً ، وإذا
تأملت سؤاله شئ موجود متقرر الوجود عند السائل والمستول نحو
قولك : كيف علم زيد ؟ وكيف ذبح الثوب ؟ ونحو هذا ، معنى قلت كيف
قولك ، وكيف زيد ؟ فإنما السؤال عن حال من أحواله وقد نكون
(كيف) خبراً عن شئ ، شأبه أنه يستفهم عنه بكيف نحو قولك كيف شئت
مكن ، ونحو قول البخارى كيف كان بدء الوحى (وكيف) فى هذه
الآية ، إنما هى استفهام عن هيئة الإحياء والإحياء متقرر ولكن لما
وجدنا بعض المنكرين لوجود شئ يعبرون عن إنكاره بالاستفهام عن
حاله لذلك الشئ يعلم أنها لا تصح .

فيلزم من ذلك أن الشئ فى نفسه لا يصح ، مثال ذلك أن يقول مدح
أنا أرفع هذا الجبل ، فيقول المكذب له ، أرى كيف ترفعه ، فهذه طريقة
مجاز فى العبارة ومعناه تسليم جدلى ، كأنه يقول ، لإفرض أنك ترفعه ،
فأرى كيف ترفعه .

فلما كانت عبارة الخليل عليه السلام بهذا الاشتراك المجازى خلاص
أقوله ذلك وحمله على أن بين له الحقيقة .

فقال له : (أولم تؤمن قال بلى) فكمل وتخلص من كل شئ ثم علل
عليه السلام بسؤاله بالطمأنينة ، اهـ (١) .

وقد ذكر ابن حجر آراء العلماء فى معنى هذا الحديث فقال : ثم

استلغوا في معنى قوله **﴿فَلْيَكْفُرُوا﴾** نحن أسحق بالشك ، فقال بعضهم معناه ، نحن أشد إشتاقا إلى رؤية ذلك من إبراهيم وقيل معناه ، إذا لم تشك نحن فإبراهيم أولى أن لا يشك ، أم لو كان الشك متطرقا إلى الأبياء . لكنك أنا أسحق به منهم وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أنه لا شك وإنما قال ذلك تواضعا منه أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم ، وهو كقوله في حديث أنس عند مسلم ^(١) .

أن رجلا قال للنبي **﴿صلى الله عليه وسلم﴾** ، يا خير البرية قال ذلك إبراهيم ، وقيل أن سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت قال بعض الناس ، شك إبراهيم ولم يشك نبينا فدلغه ذلك فقال : نحن أسحق بالشك من إبراهيم وأراد ما حوت به المادة في المخاطبة لأن أراد أن يدفع عن آخر شيئا قال فيها أردت أن نقوله بفلان فقله لي ، ومقصوده لا تنقل ذلك وقيل أراد بقوله نحن أمته الذين يحدون عليهم الشك وإخراجه هو منه بدلالة العصة وقيل معناه .

هذا الرأي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك وإنما هو طلب لمزيد البيان .

وحكي بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاءت ثلثي المعنى عن الشريرين ، فهو قوله تعالى « أم خير أم قوم تبع » أي لا خير في القرية من دنس قوله القائل : « الشيطان خير من فلان » أي لا خير فيهما ففعل هذا فعلى قوله (نحن أسحق بالشك من إبراهيم أي لا شك عندنا جميعا) .

ثم ذكر ما قاله ابن الجوزي وهو قوله : إنما صار أسحق من إبراهيم لما عاني (يقصد نبينا عليه الصلاة والسلام) من تكذيب قومه وردهم

عليه ونعجبهم من أمر البعث فقال أما أحق أن أسأل ما سأل إبراهيم
لعظيم ما جرى لي مع قومي المنكرين لإحياء الموتى ولمعرفتي بتفضيل الله
لي ولكن لا أسأل في ذلك .

وقوله : فقال أولم تؤمن ، الاستفهام للتقرير ووجهه أنه طلب
الكيفية وهو مفسر بالتصديق بالإحياء ، وقوله (لي ولكن ليطمئن قلبي)
أي ليزيد سكوتي بالمشاهدة المنضمة إلى اعتقاد القلب لأن تظاهر الأدلة
أسكن للقلوب وكأنه قال أنا مصدق ولكن للعيان لطيف معنى .

ثم قال صاحب الفتح وقال عياض ، لم يشك إبراهيم في أن الله يحيي
الموتى ولكن أراد طمأينه القلب وترك المناذعة بشاهدة الإحياء لمحصل
له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيافته ومعاينته ويحتمل أنه
سأل لإزالة اليقين وإن لم يكن في الأول شك لأن العلوم قد تتفاوت في
قوتها فأراد الترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ، اهـ (١) .

وقال البغوي - حكى محمد بن إسحاق بن عزيمة عن أبي إبراهيم
إسماعيل بن يحيى الموتى أنه قال على هذا الحديث ، لم يشك النبي ﷺ
ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيى الموتى ، وإنما شك في أنه هل
يحييها إلى ما سألنا وقال أبو سليمان الخطابي ليس في قوله ، نحن أحق
بالشك من إبراهيم إعترافاً بالشك على نفسه وعلى إبراهيم لكن فيه
بني الشك عنهما .

لقوله إذا لم أشك أما في قدره الله تعالى على إحياء الموتى فأبراهيم
أولى بأمر لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم عن
النفس .

(١) فتح الباري ٦٢ من ٣٢٠

وكذلك قوله - (لو انك في السجن طول ما كنت يوسف لاجبت الداعي) وفيه الإعلام أن المسألة عند إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك وسكن من قبل ريادة العلم باليمان فإن العيان بعيد من المعرفة والطمأنينة مما لا يفيد الاستدلال .

ومين - ما زالت هذه الآية قاب قوس شك إبراهيم ولم يشك فيما روى الله ﷻ هذا نقول ، اضم منه وتقديما لإبراهيم على محمد (ص)

وهكذا يتضح بطلان استدلال العائنين بشك إبراهيم عليه السلام بهذا الحديث ويبين أن هذه الحديث منه أظهر دليل على كونه ساجد الخائف لله السلام عن الشك في قدره فته على البحث

ولاس المبر كلام جيد في هذا المقام لا بأس من إثباته هاهنا . قال (أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله له كيف تنجي الموتى فليس من شك والعياد به في قدره الله على الإحياء ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء .

ولا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها فإنما هي طلب علم لا يتوقف الإيمان على علمه ويدل على ذلك ورود سؤال بهيئة وكيف وموضعها السؤال عن الحال ونظير هذا السؤال أن يقول العاقل كيف يحكم زيد في الكس . فهو لا يشك أن يحكم فيهم ولكنه سأل عن كيفية حكمه لا ثبوته .

ولو كان اليوم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق إلى إبراهيم شك

من هذه الآية وقد قطع النبي عليه الصلاة والسلام دابر هذا اليوم بقوله (نحن أحق بالشك من إبراهيم) أي ونحن لم نشك فلأن لا يشك إبراهيم أخرى وأولى . فإن قلت ، إذا كان السؤال مصروفا إلى كيفية التوكل لا يضر عدم تصورهما ومشاهدتهما بالإيمان ولا يتخلل به لما موقع قوله تعالى (أولم تؤمن) قلت .

قد وقعت لبعض الخذاق منه على لطيفه وهي أن هذه الصيغة تستعمل ظاهرا في السؤال عن كيفية كما مر وقد تستعمل في الاستعجاز . مثاله أن يدعى مدع أنه يحمل نقلًا عن الأتقال وأنت جازم بحججه عن حمل . فتقول له . أرى كيف يحمل هذا .

فلما كانت هذه الصيغة قد يمرض لها هذا الاستعجاز الذي أحاط علم الله تعالى بأن إبراهيم مبرأ منه أراد بقوله (أولم تؤمن) أن ينطق إبراهيم بقوله بلى أمنت ليدفع عنه ذلك الإحتيال اللفظي في العبارة الأولى ليكون إيمانه مخلصا . نص عليه بعبارة يفهمها كل يسمعا فهما لا يلحقه فيه . فإن قلت . قد يبين لي وجه الربط بين الكلام على التقدير المبين لما موقع قول إبراهيم . (ولكن ليظنن قلبي) .

وذلك يشعر ظاهرا بأنه كان عند السؤال فاقدا للطمأنينة قلت : حسنا ولكن ليزول عن قلبي الفكر في كيفية الحياة لأنني إذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان في كينيتها المثنية وتبينت عندي بالتصور المشاهد . وجاءت الآية مطابقة لسؤاله لأنه شاهد صورة حياة الموتى أ . هـ

وجاء في كتاب تزييه الأنبياء عن الأنعام . جوابا عن هذه الشبهة

ما نصه : ليس في الآية دلالة على شك إبراهيم عليه السلام في إحياء الموتى وقد يجوز أن يكون إنما سأل الله تعالى ذلك ليعلم على وجه يبعد عن الشبهة ولا يعترض فله شك ولا إرتياب وإن كان من قبل قد ضل على وجه الشبهة فيه مجال .

ونحن نعلم أن مشاهدة ما شاهدته إبراهيم عليه السلام من كون الطير حيا ثم تمزقه وتقطعه وتباین أجزائه ثم وجوهه حيا كما كان في الحساب الأولى من الوضوح وقوة العلم ونفس الشبهة ما ليس لغيره من وجوه الاستدلال ، ولأنني عليه السلام أن يسأل ربه تخفيف محنته وتسهيل تكليفه والذي بين صحة ما ذكرناه قوله تعالى : أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي .

فقد أجاب عليه السلام بمعنى جوابا بعينه ، لأنه بين أنه ﷺ يسأل ذلك فيه . وفقد إيمانه به وإنما أراد الطمأنينة وهي ما أشرنا إليه من سكون النفس وانتفاء الخواطر والوساوس والبعد عن اعتراض الشبهة أمه (١) .

ولعل فيما أثبتته في هذا الصدد من أقوال المفسرين ما يدل على تزيه ساحة التحليل عليه السلام عن الشك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وقد قلت في مطلع هذا الفصل أن سवाल التحليل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى كان طلبا للدرجة أرقى من المعرفة لأن الإنسان كلما ازداد إيمانه تضاعفت تطلعه إلى بلوغ مراتب أرقى من المعرفة وقد أراد التحليل طاهيه السلام أن يترقى من مرتبه علم اليقين إلى عين اليقين فسأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى .

(١) تزيه الأنبياء عن المطاعن . (١) تزيه الأنبياء عن المطاعن .

وقد كان هو يسأل ربه في أعلى درجات الإيمان بقدرته تعالى على إحسان الموتى يدل على ذلك جوابه بيلي حين قال الله له :

(أو لم تؤمن) يقول الشيخ سيد قطب في إضلال القرآن ، عند تفسير هذه الآية إنه (أى سؤال إبراهيم) التشوف إلى ملائكة سر الصنع الإلهية وحين يحيى هذا التشوف من إبراهيم ، الآواه الحليم ، المؤمن ، الراضى ، الخاشع العابد ، القريب ، الخليل ... حين يحيى هذا التشوف من إبراهيم فإنه يكشف عما يحتلج أحياناً من الشوق والتطلع لرؤية أسرار الصنع الإلهية في قلوب أقرب المقربين أنه تشوق لا يتعلق بوجود الإيمان وثباته وكاله واستقراره وليس طلباً لإبرهاني أو تقوية للإيمان .

إنما هو أمر آخر له مذاق آخر ، أنه أمر الشوق الروحي إلى ملائكة السر الإلهي في أثناء وقوعه العمل ومذاق هذه التجربة في الكيان البشرى مذاق آخر ، غير مذاق الإيمان بالغيب .

ولو كان هو إبراهيم الخليل الذى يقول ربه ، ويقول له ربه وليس وراء هذا إيمان ولا برهان للإيمان ولكنه أراد أن يرى يد قدره وهو أمل ليحصل على مذاق هذه الملائكة فيتروح بها ويتنفس في جوارها ، يعيش معها وهي أمر آخر غير الإيمان الذى ليس بعده إيمان أم لا ؟

وهذا وليس في صفة سؤال الخليل ما يشعر بالشك ، وأن من المسام به أنه مامن أحد إلا وهو يؤمن بأمور كثيرة إيمانياً يقينياً وهو لا يعرف كيفيتها وبدلو يعرفها ، فهذا التفرد الذى ينقل الخبر من المشرق إلى المغرب في دقيقة واحدة يوقن به كل الناس في كل بلد يوجد فيه ... ويقل فيهم العارف بكيفية نقل الخبر بهذه السرعة ، أفيقال فيمن طلب

بيان هذه الكيفية إنه شاك بوجود التفراق ، وطلب المزيد في العلم والرغبة في استكناه الحقائق والتشوف إلى الوقوف على أسرار ما فطر الله عليه الإنسان وأكل الناس علما وفيها أشدهم للعلم طابا للوقوف على المجهولات تشوفا وإن يعمل أحد من الخلق إلى الإحاطة بكل شيء علما ، وقتل كل موجود فقها وفهما وقد كان طلب الخليل عليه السلام رؤية كيفية إحياء الموتى بعينه من هذا القبيل فهو طلب للطمأنينة فيما تنزع إليه نفسه القدسية من معرفة أخفايا أسرار الربوبية لا طلب للطمأنينة في أصل عقد الإيمان بالبعث الذي عرفه بالوحي والبرهان دون المواجهة والبيان ، أ ، هـ ، (١) .

وقد أجاب الله الخليل إلى ما سأله فأمره أن يأخذ أربعة من الطير فيذبهن ثم يقطعهن أجزاء ثم يفرق أجزاءهن على ما يمكنه الوصول إليه من الجبال ثم يدعوهن إليه وسوف يرى كيف تعود إليهن الحياة حينما يرى أجزاء كل طائر منهن ينضم بعضها إلى بعض حتى تتكامل ثم تسمى هذه الطيور إليه بعد أن تعود بإذن الله كما كانت قبل أن يذبحها ويقطعها ويفرقها على الجبال .

(قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك صغى واعلم أن الله عزيز حكيم) .

وبهذا سرى الخليل عليه السلام كيف تعود الحياة إلى الجسم الميت وكيف تجعل قدرة الله تعالى في جمع الأجزاء المتفرقة بعضها إلى بعض وإعادة الحياة إليها ... وليس البعث الذي أخبر الله بوقوعه يوم القيامة سوى جمع الأجزاء المتفرقة وإعادة الحياة إليهم كما حدث للطيور التي أجرى عليها الخليل ما أمره الله به .

(١) تفسير المنار ٣ ص ٤٦